تقرير

هويدا خالد: اليوم عدتُ أجمل

في السابق، كانت هويدا خالد ترفض الكلام. أما اليوم وقد تكلّمت، فباتت ترفض الصورة. قد لا يكون الرفض نهائياً، بل مرتبط بإزالة الضمادات عن وجهها الذي خضع قبل عشرة أيام لعملية تجميلية، ادّخرت والدتها تكاليفها من بيع اللبن

في المدرسة سيفاجأ الرفاق بوجهي غير المشوّه (أرشيف ــ الأخبار)

كامل جابر

ست سنوات مرّت على تلك المجزرة في عريض دبين، شرقي بلدة مرجعيون، وأودت بحياة الفلاح داود خالد وولديه عبلة (عشر سنوات) وأحمد (سنة وثمانية أشهر) فضلاً عن إصابة ابنتيه هدى وهويدا وتدمير المنزل. اليوم تتذكر العائلة المجزرة وتقيم إفطاراً عائلياً متواضعاً على «أرواح الشهداء الذين غابوا عنّا»، تقول فاطمة داود خالد.

ثمة إصرار يلازم هويدا خالد، ابنة الرابعة عشرة، على مغالبة الألم والذكرى الموجعة، خصوصاً بعدما بدأت خطوط الإصابة تزول عن وجهها الحنطي الجميل. فقد أجرت عملية تجميلية منذ عشرة أيام، تكلّلت بالنجاح، وأعادت البسمة إلى وجهها وإلى قلبها. هذه الطفلة التي انتزع منها العدوان، وهي في عمر الثامنة، والدها وشقيقيها، وكذلك إحدى عينيها.

«لن تلبسي بعد اليوم نظارة»، قال لها الطبيب الذي أجرى العملية. أما ندوب الخد تحت العين اليمنى فلن يبقى منها غير آثار قليلة «ولن يراها إلا من يحدّق إلى الوجه ملياً»، تقول والدتها حميدة. تشير الأخيرة إلى أن عملية ابنتها «كلّفت ما يفوق 600 دولار في عيادة الطبيب سمير شحادة، في إحدى عيادات الجامعة الأميركية». الطبيب أجرى العملية في العيادة ليخفّف عن العائلة التكاليف، «لقد ادّخرت المبلغ من بيع اللبن، لكي أحقق هذا الحلم لهويدا ولي. لم أكن لأتمكن من إجرائها في مستشفى الجامعة الأميركية، أو أي مستشفى آخر، لقد أجرينا العملية وخرجنا بعد ساعة».

لا تفارق البسمة وجه الطفلة التي عانت ما عانته جرّاء الإصابة من صاروخ إسرائيلي سقط في 19 تموز 2006 قرب منزلها. يومها فقدت عينها اليمنى، وأصيبت بجرح بالغ في وجنتها اليمنى. هويدا اليوم، على غير ما كانت عليه بعد العدوان بسنوات قليلة، حينما كانت تلوذ بالصمت وتسرح بعيداً كلما تطفل على حياتها لقاء صحافي، هي الآن تحاور وتجيب، لكن بعيداً عن عين الكاميرا وجهاز التسجيل، ولا تتردد في التعبير عن فرحتها بالعملية الجراحية الأخيرة. تروي: «لقد أجرى الطبيب

> **لن تلبس النظارة والندوب تحت العين لن يبقى منها إلا الآثار**

بنجاً موضعياً، وكنت أشعر بما يدور حولي. لم أرَ الجرح الجديد في عملية التجميل جراء ضمادة وضعها الطبيب الذي أخبرنا بعد زيارة ثانية أن العملية تكلّلت بالنجاح». هذه الضمادات كانت سبب رفض هويدا التقاط صورة لها بعد هذه العملية التي أزاحت عن وجهها شيئاً من الذاكرة الأليمة.

«من المؤكد أن هويدا تحتاج إلى أشهر إضافية لكي تغيب آثار الجرح عن وجهها، وعليها ألا تعرّض هذا الجرح لأشعة الشمس اتّقاءً للحرارة التي قد تؤدي إلى التهابات» كما تؤكد والدتها. أما هويدا فتضيف: «لكن الطبيب طمأنني إلى أن كل شيء سيعود طبيعياً، وأنا فرحة جداً لإجراء هذه العملية».

تصوم هويدا أيام شهر الصوم، بالرغم من نحول جسدها، وتعزو والدتها سبب النحول إلى امتحانات نهاية العام الدراسي، «إذ تراجع إقبالها على الطعام، ولم تطمئن قبل صدور النتائج ونجاحها، وهي ستترفع إلى الصف التاسع (البروفيه)».

تدرك هويدا أن شهر تموز هو الشهر الذي تعرضت فيه العائلة لكل هذه الإصابات و«النكبات»، وبات على والدتها أن تعيل الأسرة التي بقي منها خمسة أفراد (هدى، هويدا، فاطمة، علي وهديل) من بقرة ترعاها، وتساعدها في ذلك شقيقة الزوج، مثلما تساعد في تربية الأولاد، خصوصاً بعد رحيل جدتها لأبيها أم وليد. وهي أتمّت في 12 حزيران الفائت أعوامها الأربعة عشر. وبعد النتيجة المدرسية، وفي مطلع الصيف، ركنت كتبها جانباً «لأنعم بقليل من الراحة والهدوء». تمضي الوقت الصيفي إلى جانب والدتها في البيت، أو عند بيت جدها لوالدها، القريب من بيتها عند أطراف الرابية الواقعة بين بلدتي دبين ومرجعيون والمطلة على السهل، «أو نذهب إلى بيت جدي لأمي في صيدا، لكن في زيارة تدوم ساعات قليلة». هي لمّا تزل تتابع دروسها مع شقيقيها الصغيرين علي وهديل في مدرسة الإيمان في الهبارية، «في هذه المدرسة سيفاجأ الرفاق بذهاب التشويه عن وجهي، ولن يسألوني بعد اليوم ماذا حصل لوجهك. إلى المدرسة سأعود أجمل».

تقرير

في شهر الصوم تغيير في الأولويّات

لطالما اشتهرت طرابلس بأن شهر رمضان له فيها مذاقٌ خاص يندر توافره في أيّ منطقة لبنانية أخرى، لكن هذا المذاق له جوانب أخرى وأساليب عيش مختلفة، يتعلق بعضها بالجانب المعيشي والاجتماعي، وأخرى بالوضع الأمني

عبد الكافي الصمد

«فضّلتُ في رمضان أن لا أعمل، فأخذت إجازة من الشركة». هذا القرار الذي اتخذه الشاب أحمد المصري، الذي يعمل مندوباً لتوزيع أحد أصناف بطاطا «التشيبس» في طرابلس، ليس الوحيد من نوعه، إذ تشهد المدينة عادة في شهر الصيام إقدام أشخاص كثيرين على اتخاذ قرار من هذا النوع، لأسباب متفاوتة.

المصري ردّ الأمر إلى تراجع الإقبال على «التشيبس» في رمضان، «ففضلت أن لا أُتعب نفسي في التجوال في هذا الطقس الحار بلا نتيجة، وخصوصاً أن جزءاً كبيراً من راتبي يأتي من نسبة المبيعات، فأخذت إجازة وبقيت في البيت».

تبرير المصري الذي يبدو منطقياً، ينسحب كذلك على أحمد بركة، أقلّه من وجهة نظره. فهذا الشاب الذي يعمل موزّعاً للأداوت المنزلية أقدم على الأمر ذاته، معلّلاً هذه الخطوة بأنها «من أجل التفرّغ لشهر الصوم كما يجب، إذ يستأهل الأمر أن نتفرّغ شهراً للعبادة بعد أحد عشر شهراً من غرقنا في شؤون الدنيا!». لكن ما أقدم عليه المصري وبركة، وخصوصاً أنهما لا يزالان في مقتبل العمر، لم يستطع أن يقوم به أيمن صابونة، الأربعيني وربّ العائلة المكوّنة من 4 أفراد. فهو كان يستعد، قبل أن يهلّ شهر رمضان، لترتيب بسطته التي يبيع عليها العصير الطبيعي.

يوضح صابونة «نعمل في شهر رمضان أكثر من بقية أشهر السنة، ولهذا السبب نكاد لا ننام إلا ساعات قليلة في اليوم، إذ نقوم بإعداد أنواع كثيرة من العصير (توت، خرنوب، جلاب، سوس، ليمون وجزر وغيرها) ونبيعها عبوات بالجملة والمفرق لمن يرغب، مستغلين هذا الشهر من أجل تأمين مصروف العائلة في الأشهر المقبلة».

ولأن هذا الشهر يمثّل «موسماً» بالنسبة إلى كثير من أصحاب المصالح، فقد فضّل من يملكون محال لبيع الألبسة والأحذية والسكاكر والشوكولا وهدايا العيد وغيرها في طرابلس أن لا يصعدوا إلى الجبل حيث اعتادوا تمضية الصيف، «لأننا مضطرون إلى فتح محالنا بعد الإفطار، وإذا صيّفنا في الجبل، فلن نستطيع الصعود والنزول كل يوم، فيذهب علينا الموسم»، حسب قول أحدهم. العمل ليلاً في رمضان يكاد يكون جامعاً مشتركاً بين فئات كثيرة من الموظفين والعمال والأجراء. مازن الحاج، الذي يعمل مضيفاً في أحد مقاهي طرابلس لفت إلى أنه اتفق مع صاحب المقهى على أن يداوم من بعد الإفطار حتى السحور حتى لا يفقد عمله.

لكن من لا يعملون صيفاً، وخصوصاً الطلاب منهم، فإن لرمضان معهم قصّة أخرى، إذ إنهم في ظلّ توقف الدراسة بسبب العطلة الصيفية، يعمدون إلى قلب أيامهم في هذا الشهر رأساً على عقب، فينامون نهاره ويسهرون ليله.

خالد المير واحد من هؤلاء: «أنام بعد طلوع الفجر وأستيقظ قرابة العصر»، يقول وهو يصف ما يقوم به في رمضان، قبل أن يضيف: «يوم الصيام طويل، وفي هذا الطقس الحار أفضل شيء أن أسهر في الليل وأنام في النهار، لأنه إذا لم أفعل ذلك، فإن الصيام سيكون مرهقاً، وقد لا أستطيع أن أصوم».

وضع خالد يشبه أوضاع أغلب الشبّان من أمثاله. فمن يجُل في شوارع طرابلس قبل الظهر، ثم يفعل ذلك في المساء، يلاحظ كيف تخلو الشوارع في الفترة الأولى من الشبان، وتشهد تحولاً جذرياً بعد الإفطار، وخصوصاً في المناطق التي تنتشر فيها مقاهي الرصيف والمطاعم، التي تزدحم بالشبان، تحديداً الذين يداومون في هذه المقاهي حتى ساعات الفجر الأولى، وهم يتناولون وجبات خفيفة ومناقيش وكعكاً وغيرها، ويدخنون النارجيلة أو يلعبون الورق أو يشاهدون مسلسلات تلفزيونية يتابعونها منذ اليوم الأول لشهر رمضان. لكن هذه الأجواء التي تعيشها المناطق الحديثة والآمنة من طرابلس، تبدو منعدمة في الأحياء الفقيرة والمضطربة من المدينة، وخصوصاً في منطقة باب التبانة. فهذه المنطقة الأكثر شعبية وفقراً وكثافة سكانية في المدينة، وبفعل الإشكالات الأمنية المستمرة بينها وبين منطقة جبل محسن المجاورة، والإشكالات المستجدة داخلها نتيجة خلافات فردية وعائلية وسياسية، جعلت شوارعها تخلو تماماً من المارة بعد الإفطار.

ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل إن مقاهيها الشعبية البسيطة التي ازدهرت في سنوات سابقة، وكانت تشهد إقبالاً عليها من أبناء المنطقة، فضلت أن تغلق أبوابها هذا العام، لأن «أي إشكال بسيط بين الحاضرين كفيل بأن يتحوّل في لحظات إلى اشتباك مسلح»، يقول صاحب أحد هذه المقاهي واصفاً الوضع.

يمثّل هذا الشهر «موسماً» لكثيرين من أصحاب المصالح (أرشيف)